رهانات الدرس الفلسفي في الجزائر

الأستاذ: ميلان محمد

مفتش التربية الوطنية لمادة الفلسفة

millane.phi@hotmail.fr

يخيل إلي أنه ليس أروع في الحياة من أن تكون

هوايتك هي حرفتك ، وأنا رجل قد إحترفت الفلسفة

ولكنني أستطيع مع ذلك أن أقول مع(شوبنهاور) أنه

« إذا كان ثمة أناس يعيشون من الفلسفة ، فإنني قد

اخترت أن أعيش للفلسفة.»

الدكتور زكريا إبراهيم

Résumé:

La leçon philosophique C'est l'art de penser, elle est une pratique pédagogique visant a consolider la pensée critique et le développement des capacités intellectuelles de l élève, et de libérer l'acte de réfléchir. l'enseignement de la philosophie dans le secondaire en Algérie vise a répondre aux besoins aux questions fondamentales sur soi même et sur l'existence afin de comprendre le monde . Et au niveau de la société , l'acte de philosopher est une nécessite démocratique a horizon de répondre aux aspirations de la societe Algérienne et d'être aux niveau des objectifs et enjeux ,afin de construire une nation moderne et de rétablir les valeurs de coexistence de citoyenneté et les droits de L'homme.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر - الدرس الفلسفي - الرهان -أهداف ووظيفة الفلسفة- الديمقراطية - المواطنة- التنوير - حقوق الانسان. المجتمع الجزائري. البيداغوجيا- القيم.

تمهيد:

تأتي الفلسفة داخل النسق التربوي استجابة لحاجة الشباب الجزائري إلى فهم الحياة ومساءلة انفسهم والمجتمع والأخر ، وقد يجدون في مادة الفلسفة الكثير من الإجابات الممكنة عن تلك التساؤلات ، كما أن الخطاب الفلسفي خطاب نقدي تواصلي يهدف الى عقلنة الواقع وفهمه وإعادة بنائه من جديد وفقا لطموحات وحاجات الفرد المجتمع الذي يتطور وكلما تطور المجتمع زادت حاجاته الثقافية والفكرية قصد اللحاق بمجتمع المعرفة وتأسيس المواقف بالاحتكام إلى العقل والمنطق

كما تاتي الفلسفة في هذه بالمرحلة السياسية التي يمر بها المجتمع الجزائري والتي تتميز بالتنوع في الأطروحات وإرساء ثقافة الاختلاف والتعايش ضمن مجتمع ديمقراطي يتطلع إلى ارساء الحريات الاساسية وحمايتها والتأسيس لثقافة المواطنة وحقوق الإنسان من خلال تحديث البنيات المعرفية والتفتح على قيم كونية وهي قيم الحداثة والتنوير والتسامح والتعايش والسلام والحق في في الاختلاف والتواصل الإيجابي مع الغير.

لذلك حظيت مادة الفلسفية بمكانة تليق بدورها التكويني في تشكيل شخصية متوازنة ومواطن مؤمن بالقيم الوطنية التي تجمع ابناء الامة ولا تفرقهم من خلال نبذ ثقافة العنف والإقصاء والتطرف وممارسة الوصاية على عقول الشباب وما يترتب عنها من انقسامات وتمزق وضياع ولنا في العشرية السوداء عبرة .

وقد نصت مواثيق ضمن مخطط ومرجعات الاصلاحات الكبرى في قطاع التربية أنه على الفلسفة أن تسترجع بعدها الإنساني بتجاوز الانحراف الذي اصابها في تدريسها.

وقد أكد القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04/08 المؤرخ في 2008/01/23 في الفصل الأول وفي باب غايات التربية على رسالة المدرسة الجزائرية في " تكوين مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة ، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري، قادر على فهم العالم من حوله والتكيف معه والتأثير فيه ومتفتح على الحضارة العالمية" [1]

من هنا يحق لنا أن نتساءل عن الدور الذي يمكن أن تؤديه الفلسفة كمادة تعليمية عل مستوى الفرد والمجتمع وما هي مختلف الرهانات المرتبطة وظيفيا بالدرس الفلسفي؟ وما هو مستقبل الفلسفة الفلسفة في سياق التحولات المعاصرة؟

---

[1]. وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية ، رقم 04/08 المؤرخ في 2008/01/23، النشرة الرسمية ،فبراير 2008، الجزائر ، ص60[1].

وفي إطار الإصلاحات التربوية في الجزائر، حظيت مادة الفلسفة بالتعليم الثانوي بمكانة خاصة نظرا للقدرة الوظيفية التي تملكها في مخاطبة العقل وتكوينه والمساهمة في بناء إنسان الغد، انطلاقا من كون التفلسف مطلبا متأصلا في الإنسان.

ا-ضرورة التجديد البيداغوجي.

ولا تأخذ بيداغوجيا التدريس الفلسفي كاملَ أهميتها فقط من بحث الفلسفة عن تأصيل شرعيتها المعرفية باعتبارها نوعاً معيناً من المعرفة التي تتخذ شكل مفاهيم وأسماء وأعلام ونصوص وقضايا فلسفية مختلفة، وخطاباً واستعمالاً متميزاً للعقل، بل وأيضاً من سعيها إلى تأصيل شرعيتها البيداغوجية، شرعية تربية الذهن على عمليات للتفكير اعتُبِرت فلسفية بامتياز، كبناء المفاهيم والحجاج والبناء الإشكالي للقضايا والمواقف والجدل وما إلى ذلك. لذلك نص المخطط المرجعي للمناهج التربوية إلى ""ضرورة إسترجاع البعد الإنساني للفلسفة وتقويم الإنحراف الذي لحق بتدريسها "[2]

فالفلسفة متأصلة في الطبيعة البشرية وكل إنسان معني بالتفلسف، وحتى الثقافة الشعبية تتضمن نوع من الفلسفة وصفت بالفلسفة العفوية ،وحتى " أسئلة الأطفال والكلمات التي يتلفظون بها أحيانا ،غالبا ما تتضمن معاني ودلالات ذات أبعاد فلسفية."[3]

لذلك ، لابد أن يحظى الدرس الفلسفي بالتجديد من خلال تأطيره بمقاربات بيداغوجية وديداكتيكية من شأنها ان تجعل التدريس الفلسفي ممكنا على مستوى التبليغ والتواصل والتقويم وإضفاء البعد الوظيفي للتكوين الفلسفي حتى يكون في مستوى الرهانات.

وتراهن البيداغوجيا المعاصرة، على وفاعلية ووظيفية التربية ، ويعني ذلك" أن مصداقية أي تنظير بيداغوجي في بناء الأفراد والجماعات وفق روح نقدية .. في إعادة النظر في كيفيات جعل القيم هدفا لكل مسار بيداغوجي ينشد تحويل المؤسسة إلى ورشة لإنتاج وتعلم القيم."[4]

وحتى يصبح الدرس الفلسفي شأنا إنسانيا ضمن مقاربة تنطلق من وضعيات حياتية متصلة بواقع المتعلمين وإقحامهم في حلها من خلال الحوار والمساءلة والنقد والتحليل ، لابد من تحيين المعارف الفلسفية ، بحيث تستجيب لحاجات المتعلمين وتدفعهم إلى الانخراط في التواصل الموقف التعليمي التعلمي لذلك " إننا لا ندعو أن نجعل من الدرس الفلسفي مجرد معلومات جامدة معدة للتلقين والاستهلاك .. وإنما ندعو فقط إلى ضرورة البحث عن الشروط الملائمة لموضعتها الإيجابية والمنتجة داخل سياق تربوي ومجتمعي محدد، له مقوماته ، واهتماماته، وأولوياته ورهاناته المتعددة المستويات والأبعاد".[5]

---

[2]-- بوبكر بن بوزيد،إصلاح التربية في الجزائر،رهانات وإنجازات،دار القصبة للنشر، بدون طبعة، ، الجزائر ، 2009، ص: 78.

[3] -kARL JASPERS,introduction a la philosophie, traduit par,jeane HERSH, union Génerale d édition PLON,Paris,1985,p:07.

[4]-عبد اللطيف الخمسي، رهانات الفلسفة وبيداغوجيا القيم الإنسانية، منشورات دار التوحيدي، ط1،الرباط،2013، ص:08.

[5]-مصطفى محسن ، نحن والتنوير، عن الفلسفة والمؤسسة ورهانات التنمية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2000، ص:54.

ب-وظيفة وضرورة الفلسفة بالنسبة للفرد المتعلم:

*تأتي الفلسفة استجابة لحاجة متأصلة في الطبيعة البشرية وهي روح الفضول والتعطش إلى المعرفة والبحث الدائم عن الحقيقة انطلاقا من الروح التساؤلية والدهشة والحيرة والخوف والارتباك والشك وعدم الاقتناع ، فالتفلسف ضروري لوجودنا كونه يعبر عن إنسانيتنا ويرقى بنا فوق مرتبة الحيوانية ، وإذا كان التفلسف شأنا إنسانيا ،فهذا يلزمنا حسب روني ديكارت (René Descartes) 1596-1650 "أن نعتقد أن الفلسفة هي وحدها تميزنا من الأقوام المتوحشين الهمجيين، وأن حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها."[6]

فهي بهذا تنمي في المتعلم ثقافة السؤال والمساءلة وتربية الحس الإشكالي لديه حول نفسه ووجوده والمجتمع والعالم من أجل الحقيقة والحكمة والفهم العميق للحياة ، " والفلسفة لا معنى لها إلا بقدر ما تقربنا من الحكمة : يتعلق الأمر بأن نفكر جيدا كي نعيش جيدا ،(savoir vivre) وهذا وحده ما يعني التفلسف في الحقيقة ..فالفلسفة هي ما يهيئنا للحياة."[7]

ولا ينبغي ان يكون القول الفلسفي تبريرا مجردا لنظرية أو مذهب فلسفي، بل يجب ان يتوجه إلى تكوين المتلقي في الحياة العملية ، "فالخطاب الفلسفي لم يكن في مختلف المدارس الفلسفية، بناء لمنظومات نظرية ، أو مذاهب تعلم وتنقل من جيل إلى جيل أخر ، وإنما كان وعيا بأسلوب عيش، وتأسيسا لنمط حياة."[8]

*ترسيخ ثقافة التسامح والحوار والتعايش وتربية المتعلمين على المواطنة وممارسة الديمقراطية وحقوق الإنسان بما يمنحه الدرس الفلسفي من حرية وحوار وتواصل ونقد ومساءلة وتسامح وقبول التواصل مع الأخر والحق في الاختلاف وتعدد المواقف والأفكار والأطروحات.

*تربية الروح النقدية وتأصيلها وتهذيبها ، فالخطاب الفلسفي خطاب نقدي تحليلي وتشخيصي للواقع الإنساني في كل إبعاده، الثقافية ، الاجتماعية ، السياسية ، التربوية والأخلاقية ، ذلك من خلال الثورة على الفساد ، من خلال إقحام الفلسفة في مواجهة معضلات العصر ، ذلك من خلال وضعيات حياتية تطرح في درس الفلسفة في أفق إنقاذ الإنسان والمجتمع من ظاهرة انحطاط الثقافة وانتشار قيم الاستهلاك والربح والمنفعة وسيطرة الصورة والإشهار ، مع تطور تقنيات التواصل وتأثيرها الفعال على أنماط التفكير وأساليب الحياة، أصبحت البلاهة شاملة لأنشطة الإنسان، حيث سيادة أنماط من الحياة ومن المعرفة والفهم و التفكير؛ كالاهتمام المرضي بالسلع والبضائع، واللامبالاة تجاه الذات والآخرين وضعف الانشغال بشؤون المجتمع والحياة وتسبب هذا الوضع في تقليص حضور الفلسفة والتفلسف في الفضاء العمومي.

يضاف إلى ذلك التحليل النقدي للمعرفة العلمية ، فلسفة العلوم والإبيستيمولوجيا أي البحث في مبادئ ومناهج والأسس المنطقية قصد الكشف عن العوائق وتجاوزها كشرط لتقدم العلم ،وعلى هذا الأساس "لم يعد النقد الإبستيمولوجي تفكيرا تأمليا في العلم فحسب، بل يغدو أداة على ضوئها يحصل التقدم العلمي ،

---

[6]- روني ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الطباعة للثقافة والنشر، القاهرة، بدون طبعة، 1974، القاهرة، ص: 30-43.

[7]- أندري كونت، سبونفيل، تقديم الفلسفة، ترجمة، حسن أوزال ،ضمن كتاب، حكمة الحداثيين، دار وليلي للطباعة والنشر1، مراكش، 2004، .ص: 17-22.

[8]- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة فنا للعيش،دار طوبقال للنشر،ط1، الدار البيضاء ، 2012،ص:10.

بحكم كونه تنظيما داخليا للأسس التي يقوم عليها العلم."[9]

*يساهم الدرس الفلسفي في تعزيز الثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية وإثبات الذات والإقبال على الحياة وتوازن الشخصية ، ذلك من خلال أنشطة التدريس والمقاربات البيداغوجية والديداكتيكية القائمة على مبادئ ، التعلم الذاتي، المساءلة، النقد ، الحوار والتواصل ، بيداغوجيا الخطأ، التقييم والتقويم، المشاركة في بنات التعلمات، التدريس بالمشاريع، التعليم التعاوني، والمهارات البيداغوجية للمدرسين، الدعم ، المرافقة، التوجيه، القيادة، الحضور، الهندام الكفاءة ، العدل والجدية ،لان تلك المرحلة العمرية غالبا ما يكون المتعلم في مرحلة البحث عن القدوة وقد يجدها عند أساتذته وهذا من منطلق التربية بالقدوة .

وعليه فإن إحدى الغايات الأساسية لتعليم التفلسف في جعل المتعلم متمرسا على أساليب المساءلة والتحليل النقدي والمحاججة بإعتبار هذه العمليات هي الضامنة لاستقلالية التفكير، وهي السبيل إلى إقرار فكر الانصات والتواصل والاعتراف بالأخر والتعايش ضد كل أشكال العنف والتعصب.

*تربية المتعلمين على الحوار والتواصل والتعايش والحق في الاختلاف وتبليغ الحقيقة بالاحتكام إلى العقل والمنطق والإقناع والاعتدال في المواقف ، مع نبذ التطرف والتعصب الفكري والمذهبي والانكماش وثقافة التخلف والإقصاء ، فالحوار الحر شرط أساسي في تأصيل الوعي الفلسفي في المجتمع ، "فبقدر ما تكون الفلسفة نمطا فكريا يذكي الحوار في المجتمع ويؤسس الأفكار على هذا المبدأ ، فإن الفلسفة ذاتها تتوقف في تطورها ، على توفر شرط الحوار وإمكانيته في المجتمع."[10]

* تحافظ الفلسفة وتدافع وتؤسس لإنسانية ألإنسان وتحقيق التوازن في الوجود الإنساني من خلال البحث في الثنائيات ، كالروح والمادة، وتقوم الفلسفة الإنسانية على منطلقات فلسفية تعلي من شأن الإنسان عبر التأكيد على قيم الحرية والعقلانية والإبداع والتفكير الذاتي ، بعيدا عن كل أشكال الوصاية والاستعباد وذلك ما تراهن عليه التربية

وفقا لهذا التأكيد من أوليفي ربول(Olivier Reboul) "وهكذا ، يبدو لنا أن غاية التربية هي السماح لكل واحد بتحقيق طبيعته في حضن ثقافة ينبغي أن تكون إنسانية حقا."[11]

وما ظهور الحركات الفلسفية التنويرية في أوروبا إلا نتيجة لوجود فلسفات نقدية تنويرية حداثية عقلانية ضد ثقافة القهر والوصاية والاغتراب. والتاريخ يشهد أن الامم لم تنهض من كبوتها إلا بعد تحرير فعل التفكير.

* تنمي البعد الأخلاقي في شخصية المتعلم وتحثه على التمسك بالفضيلة ونشرها في مختلف المؤسسات ،لأن مبحث القيم الأخلاقية شأن فلسفي بامتياز، وطرحت إشكالية الفضيلة وثنائية الخير والشر منذ فجر التفكير الفلسفي من أجل استئصال دوافع الشر وتخليق الحياة العامة ، والتصرف وفقا لمعايير أخلاقية تستجيب لإنسانية الإنسان ، على الشباب الجزائري أن يكون متحصنا أخلاقيا وروحيا في الفكر والعمل لإضفاء المعنى والقيمة على الحياة ، ونقف على ما جاء في بعض التوجهات الخاصة بتدريس الفلسفة من الجهات الرسمية لإضفاء الشرعية على تدريس الفلسفة بوصفها تحمي النظام الأخلاقي وقيم الجمهورية ومما

---

[9]- Jean Piaget,La logique et la connaissance scientifique, bibliothèque de la pléiade ,Gallimard,Paris,1967,pp,51-66.

[10]-محمد وقيدي ، جرأة الموقف الفلسفي،إفريقيا الشرق، ط 1، المغرب، 1999، ص:14.

[11]- أوليفي ربول، لغة التربية،تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق،بدون طبعة، الدار البيضاء ، المغرب، 2002،ص:31

جاء فيها موجها كلامه للشباب :" من الأفضل أن يكونوا مسلحين بطرق التأمل وببعض المبادئ العامة للحياة الثقافية والأخلاقية التي تقدم لهم سندا،.. وتجعل منهم مواطنين قادرين على ممارسة الحكم الواضح والمستقل الذي يتطلع إليه مجتمعنا الديمقراطي."[12]

والغاية من هذا الإعلان ،هي تثبيت الوضع المؤسساتي والشرعية البيداغوجية للفلسفة في النظام التعليمي وتوسيع قاعدة المنتسبين إلى الفلسفة في المؤسسات التعليمية.

ج- قيمة وضرورة الفلسفة بالنسبة للمجتمع:

*يمكن إثبات ضرورة التفلسف استناداً إلى رسوخه في الطبيعة البشرية، وإلى وظيفته النقدية والتنظيمية، ضرورة تعلم التفلسف لا تنفصل عن السياق السوسيو- ثقافي، لذلك لابد ان تساهم الفلسفة في الحفاظ على كيان المجتمع ، بتشريع القيم والعمل على تخليق الحياة العامة والتأسيس للفضيلة والحق والعدل في مختلف مؤسسات المجتمع والدولة، هذا في ظل مخاطر العولمة وتلاشي المقومات والخصوصيات والهويات وتنامي الخطابات المأتمية التي ترفع شعار النهايات ، نهاية التاريخ، نهاية الدولة الوطنية، نهاية المدرسة ، لذلك أصبحت الحاجة إلى حضور الفلسفة ملحة لإنقاذ المجتمعات الإنسانية من الفكر التدميري وإنقاذ المعنى وإعادة الروح للحياة ،"فالفلسفة لا تعلمنا كيف نفكر فحسب، بل تعلمنا أيضا كيف نعيش.. الفلسفة الحقة لا يمكن ان تكون نظرية فقط بل هي« فن حياة »[13]

وقد نقلت لنا كتب التاريخ أن الفلسفات وأنماط التفكير السائدة في المجتمعات الإنسانية تاريخيا كانت تمثل صورة لثقافة وأوضاع المجتمع ونظرتهم للوجود والحياة بما فيها فلسفة التربية ، وفي هذا السياق يقول أحد المفكرين:" إن النظريات والمذاهب الفلسفية،ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد، فكما نفكر نعيش، وهذا هو السبب الذي يجعل مجموع الأفكار الفلسفية شيئا أكبر من أن يكون مجرد دراسة أخصائي، إنه يشكل نوع مدنيتنا بأسره.[14]

***الفلسفة ضرورية لنهضة وتنوير المجتمع.**

ساهمت الفلسفة تاريخيا بوظيفتها النقدية والثورية في دفع المجتمعات الإنسانية نحو التقدم والحضارة ،من خلال نقد الأوضاع السائدة سياسيا وثقافيا واقتصاديا وقدمت لنا كتب التاريخ الكثير من الأمثلة الحية، تجسد نضال الفلاسفة بالأفكار والنظريات قصد التأسيس لعهد جديد، ومن أمثلة الفلسفات التنويرية ، فلسفة سقراط عند اليونان صاحب المبدأ "الشهير أعرف نفسك بنفسك" الذي يحمل الدعة إلى التفكير الذاتي وإصلاح عقول الشباب

وفي العصر الحديث أسس الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر إذن أنا موجود" للثورة المنهجية في أوروبا وكان لفلاسفة التنوير الأوروبي الفضل الكبير أمثال فولتير وديدرو وروسو في قيام الثورة الفرنسية وغيرها من الثورات في أوروبا ، كما نقلت الفلسفة البراجماتية المجتمع الأمريكي إلى التقدم والازدهار برفع شعار المنفعة والخبرة والكفاءة وفلسفة المشاريع وربط الفكر بالعمل باعتبار المدرسة أداة فعالة في تطوير وتقدم المجتمع.

---

[12]- أناتول دومانزي، تعليمات 2 سبتمبر1925، خاصة بتدريس الفلسفة في فرنسا، ترجمة وتقديم عبد الغاني التازي،مجلة فكر ونقد، عدد ، 48، 2002،ص: 121. 124

[13]-زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة ، مكتبة مصر ، ط3، 1967، ص:46.

[14]- جون لويس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة، بدون طبعة، بيروت1978، ص:13.

في كتاب جون ديوي(john Dewey)1859-1952 الديمقراطية والتربية "يؤمن أن التربية وفلسفتها ، هي الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم ، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة وعملية اجتماعية.. ولابد أن تتضمن تفاعلا اجتماعيا في جو ديمقراطي."[15]

وهذا التوجه الجديد كان بمثابة الثورة على المناهج والمدارس التقليدية القائمة على الحفظ والتلقين.

***الدرس الفلسفي ورهان وحقوق الإنسان:**

بما ان بيداغوجيا الدرس الفلسفي وهويته تقر بالحوار والاعتراف بالأخر والحق في الاختلاف ،فهي تعمل على تأصيل الحق المبدئي في التفلسف بوصفه حقا عموميا وسياسيا وثقافيا، ومن هنا" في يكون الرهان الفلسفي رهانا بيداغوجيا يشترط في الفلسفة أن تكيف ماهية التفلسف مع إرادة بناء الحق ، ويمكن للفلسفة أن تنتقد البيداغوجيا التسلطية من أجل فسح المجال لخطاب حقوقي."[16]

والمسألة تتعلق بإيجاد الصيغ والمقاربات التي تمكن الأساتذة من تحويل الخطاب الفلسفي إلى تربية على ثقافة حقوق الإنسان وتبليغ القيم، بتجاوز التلفيق والتوفيق والتلقين والإملاء وبيداغوجيا الوصفات الجاهزة التى تعد انحرافا عن أهداف الفلسفة وماهيتها ومراميها. وهو إشكال بيداغوجي وبداكتيكي.

***الدرس الفلسفي ورهان التربية على الديمقراطية والمواطنة.**

أن العلاقات التربوية والبيداغوجية بين الدرس الفلسفي والأستاذ والمتلقي تؤسس على تفاعل تربوي وفقا لمبدأ أساسي هو التربية بالمشاركة، والإقرار بالتعدد والاختلاف والإقناع والتواصل والنقد ،كل هذا داخل النسق الاجتماعي بتوظيف وضعيات حياتية يتم فيها نقد ثقافة القهر وأشكال الاستبداد والتسلط ، إن المسؤولية ملقاة على المدرسة في نقل القيم المشتركة لمواجهة الممارسات المنافية للمواطنة والديمقراطية، من قبيل الغش ، التزوير، عدم احترام الغير، العنف ، الاستبداد ، هذا ما تضمنه القانون التوجيهي للتربية الوطنية في ترقية **قيم الجمهورية ودولة الحق والقانون** حيث يدعو إلى "إرساء ركائز مجتمع متمسك بالسلم والديمقراطية، متفتح على العالمية والرقي والمعاصرة ، بمساعدة التلاميذ على **امتلاك القيم** التي يتقاسمها الشعب الجزائري والتي تستند إلى العلم والعمل والتضامن واحترام الأخر والتسامح ، وبضمان ترقية **قيم مواطنة** إيجابية لها صلة بمبادئ **حقوق الإنسان** والمساواة والعدالة الاجتماعية."[17]

والدرس الفلسفي هو الفضاء التعليمي المناسب لتنمية قدرات الحوار والتسامح والتعايش والاختلاف والمساءلة والنقد مما يساهم في تعزيز الفكر الديمقراطي الحر

لذلك" يتعين على المدرسة الجزائرية تنمية الحس المدني لدى التلاميذ وتنشئتهم على

قيم المواطنة وتنمية ثقافة ديمقراطية لديهم بإكسابهم مبادئ النقاش والحوار."[18]

***الدرس الفلسفي ومنظومة القيم:**

---

[15]- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، ط 2 ، بيروت لبنان،1975 ص:349.

[16]- عبد اللطيف الخمسي، رهانات الفلسفة، مرجع سابق، ص:15.

[17]- القانون التوجيهي للتربية الوطنية ،وزارة التربية الوطنية فبراير، الجزائر، 2008، ص61.

[18]- وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية ، مرجع سابق، ص: 63.

تسعى الفلسفة بوظيفتها النقدية التحليلية إلى نقد وتحليل وتقييم جملة المفاهيم والمبادئ والغايات التي يقوم عليها أي نظام تربوي« فلسفة التربية» في أفق اقتراح البدائل والحلول لمسايرة روح العصر من جهة وبناء مشروع تربوي توجهه منظومة من القيم.

وبذلك تساعدنا " على اختيار القيم وسط عوامل التغير المختلفة .. ونظرا لأهمية منظومة القيم في النشاط التربوي باعتبارها مصدرا لاشتقاق الأهداف ومنارا يضيئ لنا المسار في عتمة التدريس."[19]

فكيف يكون الدرس الفلسفي رهانا قيميا؟

لقد كان تدريس الفلسفة دائماً إضفاءً لشرعية سوسيو – بيداغوجية على خطاب سعى عبر تاريخه إلى بناء أو إعادة بناء شرعيته الفكرية والاجتماعية عبر تأصيل مفاهيم التفلسف والعقل والمعرفة والنقد والحوار...الأمر الذي" يؤسس لتواصل عضوي بين الفلسفة والبيداغوجيا على قاعدة أساسية وهي: البناء القيمي للمتعلم من داخل درس فلسفي يحدد مراميه وكفاءاته من خلال الغايات الأخلاقية في أفق تشكيل ذات أخلاقية لدى المتعلم."[20]

د -مستقبل الفلسفة في ظل التحولات المعاصرة.

بعد الخدمات الجليلة التي قدمها العلم للإنسانية ، ترسخ اعتقاد لدى البعض أن العلم أصبح قادرا على الإجابة عن كل التساؤلات التي يطرحها الإنسان حول نفسه ووجوده والعالم والأخر وبالتالي فما حاجة الإنسانية إلى الفلسفة والتفلسف؟

وهل الثورة التكنولوجية والرقمنة وسيطرة الصورة في زمن العولمة تعني نهاية الفلسفة أم تطرح إشكاليات فلسفية متجددة؟

لا أحد ينكر في عصرنا أن تقدم العلم أثر سلبا على التأمل الفلسفي من جهة وشكل تفكير الإنسان وحتى المتعلمين داخل المؤسسات التربوية " حيث أصبحت الفلسفة تتعرض إلى عملية حجب مبرمجة وتواجه دوما إمكانية رفض المعنى وتقليل من الجدوى ونزع القيمة ولعل عزوف المتلقي عن طرح أسئلتها وعدم تقبله لأجوبتها هو خير دليل على ذلك."[21]

إن سيطرة الصورة على المشهد المعاصر أثرت سلبا على مستوى ممارسة التأمل الفلسفي النظري حيث غابت المساءلة وسادت ثقافة الفرجة والاستهلاك والاعتراف بصلاحية السائد والاستقالة و اللامبالاة " حيث إنتقل الدرس الفلسفي من مرحلة تعليمية بيداغوجية تراعي ملكات الفهم والإدراك والقصدية لدى المتعلم إلى مرحلة تجارية حيث صار الدرس مجرد حصة تكوينية الغاية منها تسويق المعلومة والمتاجرة بالفكرة وتحصيل الثروة وجني الأرباح[22]

وبذلك غابت عن المتعلم مقومات وأصالة التفكير الفلسفي وأصبح النجاح في الامتحان هو الغاية المرتقبة وحفظ المقالات الجاهزة والمطبوعة التي تقدم في حصة الدروس الخاصة يحدث هذا في" ظل سطوة

---

[19]- محمد الدريج، التدريس الهادف، قصر الكتاب البليدة، 2000، ص: 134.

[20]-عبد اللطيف الخمسي، رهانات الفلسفة وبيداغوجيا القيم ألإنسانية مرجع سابق،ص:79.

[21]- زهير الخويلدي، تلقي الدرس الفلسفي في التحولات المعاصرة، التفلسف والتعليم ورهانات المستقبل ، تاليف مجموعة من الأكاديميين العرب،دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، العراق، 2014، ص:287.

[22]- نفسه، ص:291.

وسائل الإتصال على العلاقات الإنسانية وإعاقة عملية التواصل بحكم حلول عصر الصورة محل عصر النص المكتوب ..وبقاء الأفكار الفلسفية مدفونة في القواميس والمجلدات وفي عقول وفي قلوب القليل من النخب."[23]

هذا الوضع ليس مبررا للشك في قيمة الفلسفة بل في التساؤل حول كيفية تحرير فعل التفكير لتجاوز مرحلة التحنيط والانكماش والسلبية لأن نقد الفلسفة بحجة سيطرة القيم المادية وثقافة المشهد والاستهلاك والأنانية المقدسة لأن نقد الفلسفة هو " تجسيد للعدمية ذلك المرض الذي يتميز به عصرنا هذا، من فقدان المعنى والتدحرج نحو العدم والعبثية، إنه عصر الإفلاس وإرادة العدم."[24]

من هنا جاءت الدعوة من طرف المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة إلى ضرورة إعادة الاعتبار للدرس الفلسفي وللفلسفة في العالم كونها تحمل القيم الكونية ، كقيم السلام والتعايش والأخلاق والديمقراطية والمواطنة والتسامح والحق في الاختلاف من جهة ولدورها التكويني لشخصية طلابنا في مؤسسات التعليم من خلال تنمية قدرات الحوار والتواصل والنقد والمساءلة والمحاجة والتحليل والتركيب .

وقد أشار المدير العام لليونيسكو في إفتتاحية كتاب يعنوان «الفلسفة مدرسة للحرية »إلى ضرورة تعميم تدريسها في كل أنحاء العالم لارتباطها بالشأن الإنساني قائلا " لقد كانت أول دراسة أنجزتها اليونسكو(unesco) حول تدريس الفلسفة في العالم ونشرتها سنة 1953، قد شددت على دور الفلسفة في حصول الوعي بالقضايا الأساسية للعلم والثقافة وفي بروز تفكير مدعوم بحجج في مستقبل الوضع البشري، فليكن لنا في هذا داع أخر لدعم تدريس الفلسفة حيث يوجد ولإرسائه حيث لا يوجد."[25]

والواقع يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه كلما تطور العلم وتقنياته كلما تعاظمت الحاجة إلى الفلسفة وظهور الفلسفة التطبيقية دليل على تجدد المشكلات الفلسفية التي ترتبت عن تقدم العلم غايتها تطبيق القيم الفلسفية الكونية على كل مجالات النشاط الإنساني حفاظا على إنسانية الإنسان ، وهكذا "فإن التقدم العلمي وتحليل نتائجه على هذا النحو من كشف تنبؤاته المفيدة وتخليصه من تطبيقاته المسيئة للبشر وللبشرية ، سيكون هو المجال الأرحب لتأملات الفلاسفة."[26]

وتأسيسا على ما سبق، ينبغي أن يتحول الدرس الفلسفي من الناحية البيداغوجية والديداكتيكية إلى مساءلة نقدية تحليلية لوضع وقضايا حياتية متصلة بالتجربة الإنسانية

" فالفلسفة ليست في معناها العام سوى حياة ونقد للحياة ، أو حياة وتحليل للحياة ، أو حياة وتعلم الطريقة المثلى في الحياة .. وليس من طبيعة الروح الفلسفية أن تقنع بما بين أيدي أهل عصرها من حقائق ومعتقدات ومعارف ، بل لابد أن تضع كل هذا موضع شك حتى يتسنى لها أن تعيد بناءة من جديد فتقيمه على دعائم نقدية يقرها العقل."[27]

---

[23]- نفسه، ص: 192.

[24]-Jacqueline Russ, la marche des idées contemporaines ,éd Armand Collin, Paris, 1994,P.11.

[25]- منشورات اليونسكو، كتاب، الفلسفة مدرسة للحرية ، تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف، ترجمة فؤاد صفا، عبد الرحيم زرويل، ط1، فرنسا، 2009، ص:WWW.Unesco.org\shs\Fr\philosophy.8

[26]- مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، 2010، ص: 20.

[27]-عمر التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب ، د ط ، ليبيا تونس، 1990،ص:45.

وأن بلوغ تلك الغاية يقتضي إعادة النظر في البرامج وفي المناهج وفي المقاربات الديداكتيكية والبيداغوجية التي تجعل الدرس الفلسفي مفعما بالحياة من خلال إقحام المتعلمين في صلب المشكلات الحياتية بعيدا عن المقاربات النظرية المجردة التي لا تعالج مشاكل عصرهم ، وذلك بتحيين المعارف الفلسفية لأن " الدارس الحق للفلسفة يتعلم كيفية التفكير الفلسفي وليس مطالبا بحفظ أراء ومذاهب الفلاسفة ..ليتعرف كيف يمكن حل أي مشكلة حياتية أو علمية تواجهه بمهارات التفكير العقلي والعلمي وبالأساليب المتنوعة لهذا الحل."[28]

وفي **الخاتمة** لابد من الإشارة إلى ضرورة التفكير في ترقية الدرس الفلسفي حتى يرتقي إلى تحقيق الأهداف المرتقبة داخل نظامنا التربوي ، وذلك بتفتحه على البيداغوجيا وعلوم التربية في أفق بناء ديداكتيك وظيفي وإعتماد الطرائق الفعالة والمقاربات التواصلية التي تجعل من المتعلم محورا للعملية التعليمية التعلمية بعيدا عن الطرائق التلقينية وبيداغوجيا الإقصاء والوصفات الجاهزة كشرط لتجسيد الدور التكويني للفلسفة من جهة ونكون في مستوى رهانات الدرس الفلسفي وينبغي الإشارة إلى ضرورة الانطلاق من المرجعيات الوطنية لإصلاح المناهج ووضع إستراتيجية وطنية للتكوين كما نصت عليها النصوص المتعلقة بإصلاح التربية في الجزائر التي تقر" بأن تأهيل تدريس الفلسفة يقتضي بالضرورة ، إدخال تحسينات جذرية على نوعية التكوين المقدم لأساتذة التعليم الثانوي ."[29]

وشبابنا في أمس الحاجة إلى التكوين الفلسفي بما يتفق مع القيم الوطنية والإسلامية من أجل تكوين جيل معتز بانتمائه الحضاري والتاريخين محب لوطنه قادر على تمثل القيم فكرا وعملا متفتح على العالم ، متشبع بقيم التواصل والتسامح والتعايش من خلال قيم المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان. " إن مهارات التفكير الفلسفي والعلمي ضرورية ضرورة الماء والهواء بالنسبة لشبابنا الذي نطمح في أن يكون شبابا مستقل الفكر وقادر على حل المشكلات الحياتية."[30]

لا أحد يشك أن التحولات المعاصرة أثرت سلبا على التأمل الفلسفي حيث سيطرت ثقافة الفرجة والصورة والمشهد والاستهلاك على عقول ووجدان وعواطف الناس ، وانتشرت ثقافة السلبية واللامبالاة والدليل هو " أن سيطرة الصورة يفضي إلى ربط القيمة بالظهور والصلاحية بالمرئي ، وبالتالي يكون المخفي وغير المرئي فاقدا للقيمة ويتم تقديس التشابه والصراع من أجل البقاء على حساب الاختلاف والذوق الرفيع والخير المشترك."[31]

وترتب عن ذلك غياب ثقافة المساءلة والنقد حيث سادت ثقافة الامر الواقع والحفاظ على السائد دون محاولة للتفكير في التجديد وتحرير فعل التفكير ليعود فعل التفلسف إلى الفضاء العمومي ويلعب دوره التنويري والإصلاحي أمام هيمنة القيم المادية ح حيث اصبح الانسان المعاصر مهددا بالموت الوجداني ، و" عوض أن يساهم مجتمع الفرجة في تجديد تجربة التفلسف ويشجع على النقد والتمسك بالحرية ، نراه

---

[28]- مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، مرجع سابق، ص: 31.

[29]-بوبكر بن بوزيد، إصلاح التربية في الجزائر، رهانات وانجازات، دار القصبة للنشر، د،ط، 2009، ص:79.

[30]-مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، مرجع سابق ص:31.

[31]- مرجع سابق، ص: 284.-زهير الخويلدي، تلقي الدرس الفلسفي في التحولات المعاصر

يخضع للواقع في إبتذاليته وينحط بالحياة إلى أسفل مستويات الاستعراض رداءة ، على هذا النحو صارت الصورة الشمس التي لا تغيب عن إمبراطورية السلبية المعاصرة."[32]

وأن عودة الدرس الفلسفي بأهدافه ورهاناته وقيمه النقدية التنويرية والحداثية ، يربط بتشخيص دقيق لوضعيته الراهنة ، في أفق تجاوز الأزمة التي أفرزتها التحولات المعاصرة وذلك يقتضي في اعتقادي مراجعة جملة من القضايا المرتبطة بتدريس الفلسفة في المرحلتين الثانوية والجامعية منها:

← تحيين المعارف الفلسفية بحيث تنسجم مع روح العصر من خلال مساءلة معطيات الواقع ومخاطبة الاجيال بلغة عصرهم وحتى يصبح الدرس الفلسفي مفعما بالحياة. إذ لابد من تفعيل الحوار بين الفلسفة والعلم، وجعل ما يدرس اليوم في القسم في مواكبة دائمة لحالة العلم الراهنة وكل المستجدات وتحيين القول الفلسفي مع أخر الاكتشافات العلمية"[33].

← التأكيد على البعد الاجتماعي والإنساني والكوني في برامج ومقررات الفلسفة مع إدراج نصوص الفلسفة العربية في أفق تجسيد مدى مساهمة العقل العربي والإسلامي في إثراء الثقافة الإنسانية بكل مكوناتها.

←توظيف التقنيات الحديثة السمعية البصرية في تدريس الفلسفة لإضفاء البعد التفاعلي وعصرنة فعل التدريس وتجاوز التلقين، إذ، "يجب على أستاذ الفلسفة أن يستعين بالوسائل التقنية الحديثة وتوظيف الصورة والموروث الأدبي والشعري والقصة والرواية والأشرطة السمعية البصرية على أن يكون مخلصا للمبادئ الفلسفية ووفيا للحقائق التي يدرسها حتى يحظى باحترام المتلقي.. ويصعد بالدرس إلى مرتبة الالتزام الفلسفي والرسالة الوجودية."[34]

← اعتبار الفلسفة فنا للعيش، وليس مجرد تلقين لمعارف ميتة وتحليق في سماء التجريد ، وذلك بإقحام المتعلمين في وضعيات مشكلة حياتية تمس واقعهم ، وتعالج مشاكل عصرهم ويجدون فيها إجابات ممكنة لبعض تساؤلاتهم.ذلك أن" التفكير الفلسفي لا يعلمنا كيف نفكر فحسب، بل أيضا كيف نحيا، وبذلك لم تعد الفلسفة تحليقا في المجردات، بل مواجهة لقضايا ومشكلات تقابل الطلاب في الحياة ألاجتماعية."[35]

← ضرورة تأطير الدرس الفلسفي بمقاربات بيداغوجية وديداكتيكية ، من شأنها تسهيل نقل الخطاب الفلسفي إلى المتعلمين وفقا لتخطيط محكم تتضح من خلاله الأهداف والكفاءات المستهدفة ،" كون الدرس الفلسفي عبارة عن ممارسة تعليمية تعلمية تهدف إلى ترسيخ الفكر النقدي ، والفهم والتحليل والتركيب والمساءلة والحجاج ، وهو اعتراف بوجود ضرورة منهجية وتقنية لتعلم التفلسف ، أي وجود إستراتيجيات المقاربة والتعامل ، وهو ما نصطلح عليه :« «الضرورة اليبداغوجية والديداكتيكية لمادة الفلسفة»."[36]

---

[32]- نفسه، ص: 286.

[33]- نفسه، ص: 298.

[34]- .: 305.ص،نفسه

[35]- محمد سعيد أحمد زيدان،حليم فريد تادرس،المثال الشارح مدخل لتعليم التفلسف،سفير للإعلام والنشر،ط1،مصر،2000،ص:24.

[36]- سعيد اليطيوي، الحجاج والفلسفة، مجلة فلسفة، عن الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة ، عدد مزدوج، 9-10، ص: 12.

الخلاصة:

إن الدرس الفلسفي درس حقوقي، يتضمن الحق في التفكير والحق في الاختلاف والنقد ، كما أنه درس تواصلي يؤسس على الحوار والإقناع باستخدام مختلف الأساليب الحجاجية ، وكلما تطور المجتمع كلما زادت حاجة الإنسان إلى التفلسف ، والتاريخ يثبت الوظيفة التنويرية والإصلاحية للفلسفة ، في مساءلة الوجود والقيم والمعرفة حسب مقتضيات العصر والسياق السوسيوثقافي، فمن واجب الفيلسوف اليوم مساءلة الوضع القائم بكل مكوناته ، فمازالت " الفلسفة واجبة في كل تطور اجتماعي وهذا ما نحن بحاجة إليه ...إن عصرنا الحالي هو عصر الفلسفة ، وأن المبادئ الفلسفية ما برحت توجه ، فيه، سياسات الشعوب والأمم جميعا."[37]

في الختام تجدر الإشارة أيضا إلى ضرورة الحذر وأخذ مسافة نقدية من كل المحاولات الرامية إلى تنميط "الدرس الفلسفي بالثانوي"، وجعله درسا "حرفيًا " عاديًا، بعيدا عن روح "التفلسف". ولا يعني ذلك بطبيعة الحال التخلي عن الخطاب البيداغوجي- الديداكتيكي، بقدر ما يعني حضوره بالشكل الذي يتوافق ووهوية الفلسفة القائم على التفكير النقدي البناء.

وعلينا أن نعي أن الحاجة إلى "تدريس التفلسف – باعتبار الحق في التفلسف حقًا عموميًا- حاجة مجتمعية لا مجرد ترف فكري إن نحن أردنا الانخراط في المجتمعات الديمقراطية

[37]-جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة كمال الحاج ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص:20. -